دور الاستشراق الإيطالى فى رعاية اللغة العربية وتراثها الحضارى

أ.د. مصطفى لبيب عبد الغنى*

عنايةُ الإيطاليين بثقافتنا العربية، لغةً وعلوما، علاقة تاريخية ترجع إلى منتصف القرن الخامس عشر الميلادى. ولقد تجلَّت هذه العناية فى ترجمة عيون التراث العربى إلى اللغة اللاتينية، وفي تحقيق هذا التراث ونشره بعد عصر الطباعة. وفى الحفاوة بهذا التراث الخصب وتمثُّلِه والإشادة بقيمته واتخاذه أساسا راسخا للثقافة الأوربية الوليدة فى عصر النهضة وما بعده. وتكفى الإشارة – فى هذا الشأن - إلى سيادةِ تيارِ الرشدية اللاتينية وتيار السينوية اللاتينية تياريْن حاكمين وموجهين للعقل الأوربى آنذاك. ومن اللافت للنظر أن يشمل هذا التوجيه والتأثير مجالات الإبداع الأدبى والعلمى والفلسفى ولم يكن مقصورًا على جانب بعينه.

---

* أستاذ الفلسفة الإسلامية وتاريخ العلوم، كلية الآداب - جامعة القاهرة.

وبعد فترة الأفول للثقافة العربية، فى نهاية العصر العثمانى، يبرز الدور الإيطالى فى الإحياء والأخذ بأسباب النهضة الحديثة فى مصر، وفى عهد محمد على، مؤسس الدولة المصرية الحديثة، تُرسَلُ البعثات إلى إيطاليا أولا ثم إلى فرنسا بعد ذلك، وتُتَرجم فى ديوان الوالى أعمال إيطالية حديثة، ومن بينها كتاب "الأمير" لميكافيللى. ثم تأتى اللحظة الفارقة فى توثيق العُرى بين الثقافتين الإيطالية الحديثة والعربية الناهضة مع إنشاء الجامعة الأهلية بمصر فى عام ١٩٠٨، فتتحقق ريادة الأساتذة الإيطاليين فى شحذ همم شباب الجامعة المصرية لاستعادة تراثهم والارتقاء به فى ضوء متطلبات العصر.

وتشهد العقود القليلة الماضية ثمار هذه العلاقة الوثيقة ممثلةً فى عناية طائفة من

الأساتذة المصريين الذين عكفوا على نقل عيون التراث الإيطالى إلى اللغة العربية، وفى المقدمة منها: "الكوميديا الإلهية" لدانتى أليجيرى، و"تاريخ المسلمين فى صقلية" لأماري، وفى العناية بإنشاء أقسام اللغة الإيطالية بالجامعات المصرية، وفى مشروعات الترجمة الوليدة من العربية إلى الإيطالية فى إطار خطة المركز القومى للترجمة. وهذا جهد حميد ستكون له فوائده المرتقبة للثقافتين واللغتين العربية والإيطالية استشرافا لمزيد من التطور والازدهار.

وفيما يلى بعض التفاصيل لمراحل هذا التاريخ الثقافى :

شهد النصفُ الثانى من القرن الخامس عشر الميلادى عناية الإيطاليين بطباعة نصوص العلم والفلسفة العربية؛ حيث طُبع كتاب "القانون" فى الطب لابن سينا فى ميلانو سنة ١٤٧٣ وفى بادوا سنة ١٤٧٦ وفى نابولى سنة ١٤٩١.

ونشرت مطبعة البندقية فى سنة ١٤٧١ المصنفات العربية ليحيى بن ماسويه فى الطب والفلسفة، كما تُرجمت "أرجوزة" ابن سينا فى الطب. وكان أندريا أريفابن حجةً فى الترجمة العلمية الدقيقة لرسائل الطبَ العربى، ونشر أول ترجمة إيطالية للقرآن الكريم، كما نشر باباجانينى طبعة عربية للقرآن سنة ١٥٠٣. ونُشِر كتاب "الحاوى" لأبى بكر الرازى الطبيب العظيم فى الفترة من سنة ١٥١٩ إلى سنة ١٥٤٢. وفى سنة ١٥٦٠ ظهرت شروح ابن رشد "الشارح الأكبر" على مؤلفات أرسطو فى اثنى عشر مجلدًا. وكان البابا ليون العاشر قد احتفل فى ١٢ سبتمبر سنة ١٥١٤ بافتتاح مطبعة عربية بإيطاليا.

وعلى ذِكر البابا ليون العاشر نتوقف عند جهود العالِم المسلم الحسن بن الوزَّان الفاسِى الزيَّاتى وهو المعروف عند الأوربيين باسم "ليون الأفريقى" Leo Africanus أو "يوحنا الأسد الأفريقى". والحسن بن الوزان (١٤٨٨-١٥٥٠م) رحالة وجغرافى ومؤرخ. تجلَّت خبرته العلمية الواسعة فى كتابه الشهير "وصف إفريقية" الذى ألفَّه أصلا باللغة الإيطالية وسرعان ما تُرجم، لأهميته البالغة، إلى الفرنسية واللاتينية والإنجليزية ثم الألمانية والهولندية، وقد صدرت له ترجمة إلى اللغة العربية فى عام ١٩٧٩م، وهو الكتاب العُمدة فى موضوعه. تعرّض الوزّان فى إحدى رحلاته وأثناء عودته إلى المغرب لهجوم القراصنة الذين أسروه ونقلوه إلى نابولى وأهدوه إلى البابا ليون العاشر الذى قدَّر سعة إطلاعه وعمق معارفه. ظلَّ الحسن الوزان فى روما قرابة عشرين عاما متصلة، تنصَّر خلالها وأتقن اللغة الإيطالية وعلَّم رجال الكنسية اللغة العربية وأنجز معجما "عربيا – عبريا – لاتينيا"، اشتمل على الكثير من الاصطلاحات والمعارف الطبّية والجغرافية والتاريخية، وبعدها رجع إلى تونس حيث تُوفِّى هناك.

ومنذ منتصف القرن الخامس عشر الميلادى تظهر طائفة من أعلام الاستشراق الإيطالى ممن تعلموا العربية ونقلوا عنها. نذكر منهم :

- راموسيوس (ت: ١٤٨٦) Ramusius وهو من أطباء البندقية الذين زاولوا الطب فى دمشق وتبحَّر فى فلسفة ابن سينا وترجم الكثير منها وعلَّق عليها بشروح مستفيضة، بعد أن عاد إلى بلاده.
- ألباجو (ت: ١٥٢٠) الذى أتقن العربية وظلَّ فى الشرق الأوسط ثلاثين عامًا، وعند عودته إلى إيطاليا درَّس العربية وفلسفة ابن سينا فى جامعة بادوا، وترجم إلى اللاتينية من أعمال ابن رسالة "رسالة فى أقسام العلوم العقلية" وكتاب "القانون" فى الطب.
- الأب جيجاى Giggei, A أمين المكتبة "الأمبروزيانية: والذى ألف أكبر معجم عربى عنوانه "كنوز اللغة العربية" فى أربعة مجلدات عن "القاموس المحيط للفيروزابادى، وطبع فى ميلانو سنة ١٦٣٢ على نفقة الكاردينال بورميو.
- الأب أوبيتشينى Obicini الفرنسيسكانى : عُيِّن أستاذا للغة العربية فى مدرسة اللغات الشرقية بروما، ورئيسا لمدرسة القديس بطرس الرومانية فى مونتوريو فعَلَّم العربية سنواتٍ طويلة. ومن آثاره :نشر الأجرومية متنا وترجمة إلى اللاتينية مع التعليق عليها، التى طُبعت فى فلورنسا سنة ١٦٣١. وأسهم مع ماراتشى ودِلاكويلا فى ترجمة "الكتاب المقدَّس" إلى العربية، وطُبع فى روما سنة ١٦٧١.
- جيوفانى دى كاپوا Giovanni du Capua : نقل كتاب موسى بن ميمون "فى الأغذية" وكتاب ابن زهر "التَّيْسِير" من العربية إلى اللاتينية، كما نقل كتاب "كليلة ودمنة" إلى العبرية.
- الأب جوادانيولى .Guadagnoli, F . صَنَّف كتابا فى قواعد اللغة العربية.
- الأب دومنيك جرمانوس (ت: ١٦٧٠) .Germanus, D : فرنسسكانى من صقلية تخرَّج على يد الأب أويتشينى فى مدرسة بطرس الرومانية. تضلَّع فى العربية، وقضى فى الشرق أربع سنوات لتعلم لهجاته الشعبية. من آثاره: معجم اللغة العربية العامية، وهو الأول من نوعه، صدر فى روما سنة ١٦٣٩، ومعجم إيطالى عربى باللغة العامية، والمدخل التطبيقى إلى اللغات العربية والفارسية والتركية، والمعجم العربى لإيليا النسطورى، وترجم القرآن إلى اللغة اللاتينية.
- الأب مارَّاتشى .Marracci, L (ت: ١٧٠٠) من رهبان الميردى ديو، تعلَّم العربية وعلَّمها، وكتب كثيرًا عن الإسلام. نشر القرآن متنا مع ترجمة إيطالية حرفية وبشواهد من مصادر عربية. صدر فى بادوا سنة ١٦٩٨. وعاون على ترجمة الكتاب المقدس إلى العربية، والتى صدرت فى روما سنة ١٦٧١.
- فيلا .Vella, G، أستاذ اللغة العربية فى معهد پالرمو الملكى: نشر كتاب "زاد المسافر" ورسائل لقسطا بن لوقا.
- الأب جريجوريو (ت: ١٨٠٩) .Gregorio, R : كاهن بكاتدرائية بالرمو، درَس

العربية، ثم أصبح أستاذا لها فى جامعة پالرمو، وتفرّغ لدراسة آثار صقلية وتاريخها على عهد العرب، معتمدًا على كتاب النويرى : "نهاية الأرب".

- بِيشِيّا .Biscia, A.R : نشر كتاب التيفاشى "أزهار الأفكار" متنا وترجمة فى فلورنسا سنة ١٨١٨، ثم أعُيد طبعه فى بولونيا سنة ١٩٠٦. وترجم تاريخ المسلمين فى إسبانيا للمقرّى.
- أمارى (ت: ١٨٨٩) Amari, Michele من قمم الاستشراق. وُلد فى پالرمو. أجاد العربية، وترجم منها إلى الإيطالية. دَرَّس العربية فى جامعة بيزا، ثم فى المعهد الإمبراطورى بفلورنسا سنة ١٨٥٩. من آثاره: "حقبة من تاريخ صقلية فى القرن الثالث عشر". ونشر فصولا من رحلة ابن جبير مع ترجمة إلى الإيطالية، كما ترجم إلى الإيطالية كتاب "سلوان المطاع" لابن ظفر الصقلى (فلورنسا سنة ١٨٥١). وصَنف فى ثلاثة أجزاء فى المدة من سنة ١٨٤٥ إلى ١٨٧٢ كتابه العمدة "تاريخ مسلمى صقلية"، والذى نشره بعد ذلك بشروح كارلو ألفونسو نلينو (سنة ١٩٣٣-١٩٣٥). ثم نشر كتاب "المكتبة العربية الصقلية" جمع فيه كل النصوص العربية المتعلقة بجغرافية وتاريخ وتراجم الرجال فى صقلية. وكتاب "النقوش العربية فى صقلية" (فى ثلاثة مجلدات، وصدر فى پالرمو سنة ١٨٧١-١٩٧٢)، أورد فيه نصوص هذه النقوش وترجمها إلى الإيطالية. وأصدر عن الحملات العربية على المواني الإيطالية كتابه "ذكريات عربية جديدة عن تاريخ جنوة"، سنة ١٨٧٣، ونشر مع تلميذه اتشلستينو إسكياپارتى (الجزء الخاص بإيطاليا من كتاب "روجار" للإدريسى: النص العربى، سنة ١٨٧٨ والترجمة الإيطالية سنة ١٨٨٣). وكتب أمارى بحثا بالفرنسية عن : "الترتيب الزمنى لآيات القرآن" نال عنه جائزة معهد فرنسا سنة ١٨٥٨ وبسببه عُيِّن عضوا مراسلا بهذا المعهد. ونشر أمارى نص المعاهدات بين جمهوريات إيطاليا وسلاطين مصر وغيرهم وترجمها إلى الإيطالية وعلَّق عليها فى نحو ستمائة صفحة (فلورنسا ١٨٦٣-١٨٦٦)، كما نشر كتاب "مشاهير ممالك عُبّاد الصليب" لابن فضل الله العُمرى، وترجمه إلى الإيطالية فى روما سنة ١٨٨٣.
- مونكادا .Moncada, C.C : نشر ديوان ابن حمديس، فى پالرمو سنة ١٨٨٣، ورسالة فى "غراسة الكرم" لابن العوّام مع تعليق عليها.
- الكردينال تشايسكا (ت: ١٩٠٢) .Ciasca, C.A أحد أمناء المكتبة الڤاتيكانية، عُنِى بالدراسات العربية، ونشر الطبعة العربية للإنجيل مع ترجمة لاتينية، فى روما سنة ١٨٨٨.
- فالرجا (ت: ١٩٠٣) ,Valerga : ترجم ديوان ابن الفارض إلى الإيطالية وقارنه بشعر بترارك (نُشر فى فلورنسا سنة ١٨٧٤).
- ڤيتُّو (ت: ١٩٠٤) Vitto, Enrico : قنصل إيطالي فى بيروت. نشر "نَيْل الأرب" لحسن قويدر متنا وترجمه إلى الإيطالية، وكذلك ألفيّة ابن مالك، متنا وترجمه إلى

الإيطالية، فى بيروت سنة ١٨٩٨.

- لازينيو (ت: ١٩١٤) Lasinio, Fausto : أستاذ اللغات الشرقية فى سيينا، وبيزا. اشتهر بسعة علمه ودقة تحقيقاته. نشر شروح ابن رشد على كتب أرسطو فى الخطابة والشعر والمنطق، مُستعينا فى شرحه بمصادر عربية (فلورنسا ١٨٧٢-١٨٧٨)، ثم "القول المستظرف فى شعر مولانا الملك الأشرف".
- سيلستينو إسكياپاريللى (ت: ١٩١٩) Schiaparelli, C.: درس العربية فى جامعتى تورينو وفلورنسا، كان تلميذا لأمارى وصديقا له وخلفه على كرسى الدراسات العربية وأصبح أستاذا فى جامعة روما سنة ١٨٧٥ وتخرّج عليه كثيرون. من آثاره: كتاب: مفردات عربية، وهو معجم عربى لاتينى، (فلورنسا سنة ١٨٧١)، واشترك مع أمارى فى نشر أجزاء من كتاب الإدريسى "نزهة المشتاق" مع ترجمتها إلى الإيطالية، ونشر قواعد الشعر لأبى العبَّاس ثعلب برواية المرزبانى مع تعليق بالإيطالية، وترجم رحلة ابن جبير إلى الإيطالية (وطبعت فى روما سنة ١٩٠٦).

* * *

وغنى عن البيان أن الجامعة المصرية تدين بالفضل عند إنشائها لطائفة من أعلام الاستشراق الإيطالى يأتى فى مقدمتهم اجنتسيو جويدى، وكارلو نلينو، وسانتيلانا، وميكلا أنجلو جويدى وغيرهم.

- **اجنتسيو جويدى Guidi, Ignazio (١٨٤٤-١٩٣٥) :** اشتهر بتحقيقه للنصوص العربية وترجمة بعضها إلى الإيطالية، وبعمل الفهارس النافعة لمؤلفات كبيرة، مثل كتاب "الأغانى" للأصفهانى، وفهرست الشعراء المذكورين فى "خزانة الأدب" للبغدادى، وفى شرح شواهد الألفية. كان قد تعلّم العربية وعلَّمها بجامعة روما منذ عام ١٨٨٥ فوسَّع دائرة تدريسها مقارنة باللغات السامية الأخرى. ودُعى فى عامى ١٩٠٨-١٩٠٩ ليكون أستاذا فى الجامعة المصرية، حيث ألقى دروسا فى الأدب العربى وفقه اللغات العربية الجنوبية، وكان يلقى دروسه باللغة العربية الفصحى. ومن أبرز تلاميذه آنذاك طه حسين، الذى اقتبس منه فى كتاب "الأدب الجاهلى" بعض ما جاء فى محاضرات جويدى عن الجغرافيا والتاريخ والأدب عند العرب. وكان جويدى يُحس الكتابة بالعربية نثرا ونظما. ومن أعظم نشراته النقدية نشرته الممتازة لفترة العصر الأموى من كتاب "تاريخ الطبرى" (فى ٧٦٠ صفحة). كما درس الأخبار التى أوردها الجغرافيون العرب لمدينة روما ولأوربا الغربية، كما نشر فى عام ١٩٢٦ موجزا فى "نحو لغات جنوب الجزيرة العربية".
- **كارلو ألفونسو نلّينو (١٨٧٢-١٩٣٨) :** أتقن العربية مبكرا. ومن أمارات نبوغه أن أنجز فى شبابه تحقيقا علميا فذًا لزيج البتَّانى، الفلكى المُسلِم، مع التعليق عليه وترجمته إلى الإيطالية. ومن آثار نلينو كتابه "اللغة العربية فى لهجتها

المصرية"، وفى عام ١٨٩٤ شغل كرسى اللغة العربية فى معهد ناپولى الشرقى، ثم كرسى اللغة العربية فى جامعة پلرمو. وفى عام ١٩١٥ شغل كرسى "تاريخ الإسلام ونظمه" فى جامعة روما. وعندما أُنشِئ "معهد الشرق" فى إيطاليا فى عام ١٩٢١ عُيّن نلّينو أولَ مدير له.

وعندما دعته الجامعة المصرية فى سنة ١٩١٠/١٩٠٩ دَرَّس باللغة العربية الفصحى تاريخ علم الفلك عند العرب فى القرون الوسطى. وفى العامين التاليين دَرَّس تاريخ الأدب العربى؛ فاستحدث منهجا جديدا فى الدرس كان له أكبر الأثر فى تكوين كبار الأدباء فى مصر من بعد. وفى عام ١٩٢٤ إلى عام ١٩٢٨ كان يُدّرس فى كلية الآداب بالجامعة المصرية تاريخ اليمن. وكان نلّينو فى استقامته فى الحُكم، كما قال عنه عبد الرحمن بدوى، لايجاريه أى مستشرق آخر على وجه الإطلاق.

- **دافيد سانتيلانا (١٨٥٥-١٩٣١) :** علاَّمة إيطالى من خيرة الباحثين فى الفقه المالكى. دعته الجامعة المصرية فى عام ١٩١٠ لتدريس الفلسفة لطلابها، فألقى محاضرات ممتعةً فى تاريخ المذاهب الفلسفية اهتم فيها بمقارنة الفلسفة الإسلامية بأصولها اليونانية، وبما سبقها عند السُّريان، وكانت محاضراته بلغة عربية فصيحة. وقد قام سانتيلانا بترجمة وشرح "مختصر خليل" فى الفقة. أما دُرَّةُ أعماله فكتابه عن "نُظم الشريعة الإسلامية بحسب مذهب مالك مع مراعاة أيضا لمذهب الشافعى"، والذى نشره بالإيطالية فى عام ١٩٢٦. وكان سانتيلانا مولعا كذلك بدراسة التصوف الإسلامى وعلاقته بالتصوف الأفلوطينى وبالتصوف المسيحى.
- **ميكلاأنجلو جُويدى (١٨٨٦-١٩٤٦) :** هو ابن العلامة إجنتسيو جويدى. نبغ فى العربية، وعُيَّن أستاذا لها بجامعة روما عام ١٩٢٢. استدعته الجامعة المصرية للتدريس بها من عام ١٩٢٦-١٩٢٩، فكان يُلقى محاضراته فى قسم اللغة العربية بكلية الآداب باللغة الفصحى، ورافق طه حسين فى هذه الفترة. وفى عام ١٩٣٨ شغل كرسى "التاريخ والنظم الإسلامية" بجامعة روما خلفا لكارلو نلّينو، ثم صار مديرًا للمدرسة الشرقية بجامعة روما.

  من آثاره: عرب الجنوب، دراسة لأشعار مزاحم العقيلى، فقه اللغة العربية، قصيدة عمرو معدى كرب فى فهد الحمْيَرى، تحقيق كتاب الردعلى الزنديق ابن المقفع للقاسم بن إبراهيم، مع تعليق وترجمة إلى الإيطالية، شوقى الشاعر المصرى، الإسلام والقومية العربية، و"تاريخ العرب وثقافتهم". عدا مقالاته فى دائرة المعارف الإيطالية عن "أدب العرب، والقرآن، والأقباط، والشرق المسيحى. وفى دائرة المعارف الإسلامية عن : الفروق بين الإسلام والمانوية، وغيرها.
- **بونِلّلى، لويج Bonelli, Luig (١٨٦٥-١٩٤٧) :** ترجم القرآن إلى الإيطالية، ترجمة حرفية مع التفسير.

- **دى ماتُّيو Matteo, Ignazio (١٨٧٢-١٩٤٨) :** من آثاره نشر كتاب "الطبقات" لأبى بكر الزبيدى، متنا وتعليقا (١٩١٩)، وترجمة التائية الكبرى لابن الفارض فى ٧٤٦ بيتا (روما ١٩١٧، ودراسات عن: ابن حزم (١٩٢٣) والشعر العربى (پلرمو ١٩٣٥)، ومنتخبات من شعر ابن القطاع الصقلى (١٩٣٥). ونشر فهرس المخطوطات العربية فى ميلانو.
- **كونتى روسينى Rossini, Conti (١٨٧٢-١٩٤٩) :** من أساتذة المعهد الشرقى بجامعة روما، والجامعة المصرية. أحد أعلام الإيطاليين المتضلعين فى اللغتين الحبشية والقحطانية. من آثاره : دراسة عن السبئية، وكتابات سبئية، والمختار من نقوش اللغة العربية الجنوبية القديمة، مع شرح ما نُشر من نصوصها (روما ١٩٣١).
- **ألدوميلى Mieli, Aldo :** وكيل المجمع الدولى لتاريخ العلوم ومؤسس مجلة "أركيون" التى تُسجِل نشاطه. ويُعد ميلى واحدا من أبرز المستشرقين الذين اهتموا بدراسة تاريخ العلم العربى. من آثاره فى دراسة العلوم العربية: "كيمياء البيرونى" (روما ١٩٢٢)، و"مؤرخو العلوم ومؤرخو الطب" (أركيون ١٩٣٢)، و"العلم العربى وأثره فى تطور العلم العالمى (نشره بالفرنسية فى ليدن ١٩٣٨، مع إضافات قام بها : رينو، ومايرهوف، ورُسكا سنة ١٩٣٩)، وأبو منصور الموفق (١٩٤٠)، وعلم الفلك فى العالم الإسلامى (١٩٤١)، وعلم النبات عند العرب (١٩٤١)، وإسبانيا فى كتب الجغرافيين العرب (١٩٤١)، والعلم الإسلامى (١٩٤٢)، والرياضيات العربية (١٩٤٢)، والتشريح العربى (١٩٤٢)، وابن العِبرى (١٩٤٣).
- **رِتزتانو Rizzitano, Umberto :** تعلم العربية فى مصر وإيطاليا، وانتدب أستاذا فى جامعة عين شمس، ثم فى جامعة پلرمو. من آثاره : أمين الريحانى (١٩٤٠) وشجرة الدُّر لتوفيق الحكيم (١٩٤٣) والمسرح العربى فى مصر (١٩٤٦) وترجمة زينب لمحمد حسين هيكل (روما ١٩٤٤) ومسرحيات توفيق الحكيم (١٩٤٣-١٩٤٦) – ورسالة جديدة منسوبة إلى ابن المقفع (١٩٤٩) وكتاب قواعد الإيطالية مشروحة باللهجة العربية (القاهرة ١٩٥٠). ودراسة عن ديوان الصبابة لابن حجلة (١٩٥٣)، وتعليق على ابن القطاع الصقلى وقصائد من المتنبى (١٩٥٥)، ودراسة مستفيضة عن ابن مكى، مع نشر مقدمة كتابه : تثقيف اللسان، ووضعَ مسردًا وافيا بما أُلِّف من كتب فى لحن العامة (١٩٥٦).

* * *

وهذا غيضٌ من فيضٍ يتوالى عطاؤه، بفضل الجهود الحالية للجامعات ومراكز البحوث المعنيّة، وهو دليل صِدق على عمق الروابط الثقافية المشتركة والمثمرة بين مصر وإيطاليا فى ميدان الدراسات العربية.